

Cinema of war and collective memory

د. عبد القادر رحيم¹، أ.د. سليم بتقة

Dr. Abdelkader Rahim, Prof. Dr. Salim Betka

¹ جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، a.rahim@univ-biskra.dz² جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، s.betka@univ-biskra.dzالمؤلف المرسل: عبد القادر رحيم الإيميل: a.rahim@univ-biskra.dz**ملخص:**

من منطلق أنَّ السينما تعيد صناعة وصياغة التاريخ، وفق رؤية وقراءة أصحابها، يسعى هذا المقال للبحث في العلاقة التي تربط السينما الفرنسية والجزائرية بالأحداث التاريخية، وبخاصة الثورة الجزائرية، وما سبقها أو زامنهما من أعمال عنف (من قبل المستعمر الفرنسي) أو مظاهرات وانتفاضات (من لدن الشعب الجزائري)، كما يستهدف أيضا الكشف عن الأسباب التي دَفَعَتْ صناع السينما في فرنسا إلى العمل على تشويه الحقائق، ومحاولة إظهار الطرف الفرنسي في صورة البطل الأوربي المنقذ، الذي لم يجد من وسيلة للدفاع عن نفسه وحضارته إلا استعمال القوة.

كلمات مفتاحية: السينما، الحرب، الثورة، الذاكرة، الاستعمار.

Abstract:

From the point of view that cinema reinvents and formulates history, according to the vision and reading of its owners, this article seeks to question the relationship that links French and Algerian cinema to historical events, in particular the Algerian revolution, and the violence that preceded or contemplated it (by the French colonizer) or demonstrations and uprisings (of the Algerian people), and it also aims to reveal the reasons that pushed filmmakers in France to work to distort the facts, and to try to show the French side as the European saving hero, who has found no way to defend himself and his civilization, except the use of force.

Keywords: Cinema; War; Revolution; Memory; Colonialism.

1. مقدمة:

أشار بنجامين ستورا في كتابه الرائد أو هام الحرب (**Imaginaires de guerre**)⁽¹⁾ إلى الصمت الشديد للسينما الفرنسية في الخمسينيات والستينيات حول "أحداث الجزائر"، كما كانت تسميها السلطات الرسمية في ذلك الوقت، وقد عزا ذلك إلى يقظة الرقابة طوال فترة النزاع، فكثير من الأفلام التي أثارت هذا الموضوع تعرضت بالفعل إلى الرقابة الكاملة، أو تأخر ظهورها إلى ما بعد انتهاء الحرب عام 1962، ومنذ ذلك التاريخ أحصت كارولين إيدس **Caroline Eades**⁽²⁾ ما يقرب من ثلاثين فيلماً حول هذا الموضوع، إذ يبدو أن الإيقاع قد تسارع في الآونة الأخيرة، سواء على مستوى الفيلم الخيالي مثل ليلة سوداء (**Nuit noire**) لآلان تاسمة **Alain Tasma**، والعقيد (**Mon Colonel**) لـ:وران هيربيت **Laurent Herbiet** والخيانة (**La Trahison**) لفيليب فوكون **Philippe Faucon**، أو الفيلم الوثائقي مثل العدو الحميم (**L'ennemi intime**) لباتريك روتمان **Patrick Rotman**، ومعركة الجزائر (**Bataille d'Alger**) لإيف بويسي **Yves Boisset**.

كما أن اتهام السينما الفرنسية بتجاهل أحد أكثر الصراعات المؤلمة في تاريخ الفرنسيين، أمر غير عادل بالتأكيد - كما يرى دائماً ستورا -، صحيح أن هذا الوعي تأخر بسبب قيود الرقابة، وتم ذلك بطريقة معقدة، كالجدل العنيف الذي نشأ في أعقاب عرض فيلم رشيد بوشارب الخارجون عن القانون (**Hors-la-Loi**)⁽³⁾ يظهر أن "الحرائق لم يتم إخمادها" (الفيلم يروي الأحداث التي أعقبت انتهاء الحرب العالمية الثانية على الجبهة الغربية، حيث ازدادت الاحتجاجات من أجل استقلال الجزائر أكثر فأكثر في الجزائر الفرنسية، المشاهد الأولى من الفيلم تصور مذابح سطيف و قالمة و خراطة في 8 ماي 1945. أما المشاهد الأخيرة فتستحضر مذبح 17 أكتوبر 1961 في باريس. "الخارجون عن القانون" هي الترجمة الفرنسية للمصطلح العربي **Fellagha** أو **Rebels**، الذي كان يستخدم في فرنسا لتوصيف المجاهدين خلال الحرب التحريرية (1954-1962). الفيلم أثار ردود فعل عنيفة من بعض نواب اليمين، وجمعيات الأقدام السوداء، واليمين المتطرف).

فمع كل فيلم تاريخي يعود النقاش نفسه: هل هي مجرد سينما؟ أين تبدأ مسؤولية السينمائي، وأين تبدأ حرية الفنان؟

رشيد بوشارب - الذي لا يخفي تعاطفه مع الثورة الجزائرية - يتأرجح بين الرغبة في جعل التاريخ معروفاً "أردت أن أظهر أنه حدث" ورغبة الفن السابع. لقد أعاد بوشارب فتح كتاب التاريخ.(4)

2. معركة الرقابة

في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي ، كانت السينما الفرنسية حذرة للغاية عندما يتعلق الأمر بالتعامل مع المسائل السياسية ، ولا سيما الحرب في الجزائر: كما كتب جان بيير جانكولا **Jean-Pierre Jeancolas** فالسنوات التي سبقت ظهور الجمهورية الخامسة هي سنوات "الملوتيزم" **Molletisme**، أو الغرق في الحرب الجزائرية التي يرفضها الكثيرون، ولكن قليلون هم أولئك الذين يملكون الجرأة للوقوف أمام سياسة غي موليه الراديكالية ، إنها سنوات حزينة ، عاشها الفرنسيون بضمير سيئ، أو في هروب ، فهذه هي سنوات السينما المنعزلة عن الحياة، عن الحاضر، وعن التاريخ : " إذ يرفض أغلب المنتجين والمخرجين الوقوف إلى جانبهم ، خوفاً من معاقبة الجمهور ، المنقسم بخصوص القضية ، وبالطبع هناك رقابة ذاتية للسينما الفرنسية حول هذا الموضوع.(5)

على أي حال ، خلال النزاع نفسه ، منعت الرقابة في ذلك الوقت أي إشارة مباشرة إلى "الأحداث". لأسباب واضحة ، حيث لا يتم بث الأفلام السياسية إلا في دوائر ضيقة متخصصة للغاية (نوادي الأفلام أو الدوائر السياسية أو النقابية) مثلما حدث مع فيلم أكتوبر في باريس (**Octobre à Paris**) لجاك بانيجل **Jacques Panijel** الذي يسترجع مظاهرات 17 أكتوبر 1961، تلك الأحداث التي كانت ضد منظمة الجيش السري (OAS) ، في فيفري 1962 ، حيث قُتل ثمانية أشخاص في محطة مترو شارون **Charonne**: وقد تم تقديم هذا الفيلم الوثائقي الملتزم عام 1962 في فرنسا، ولكن تم الاستيلاء على النسخة على الفور بعد العرض الأول.

في المقابل، وفي الجبال الجزائرية تم إنتاج وعرض بعض الأفلام الحربية من أجل دعم حماسة المقاتلين والرد على دعاية الجيش الفرنسي (صور محمد لخضر حمينة وجمال شاندريل ، فيلم صوت الشعب (**La voix du peuple**) سنة 1960).(6)

يقوم رينيه فوتير **René Vautier** ، الناشط والسينمائي الشيوعي و الذي التقى بعبان رمضان أحد قادة جبهة التحرير الوطني ، بإخراج فيلم قصير بالألوان ، عنوانه: الجزائر تحترق (**Algérie en flammes**) ، والذي

يعرض العمليات العسكرية في الجبال، شارك بعد ذلك في تونس في تصوير فيلم عندي ثماني سنوات (**Je suis 8 ans**) ، وهو فيلم قصير مأخوذ من رسومات الأطفال، علاوة على ذلك يحاول بعض المخرجين التحايل على الرقابة ، من خلال توجيه تلميحات إلى "الأحداث الجزائرية": مثل ليل وضباب (**Nuit et Brouillard**) لآلان ريزناي **Alain Resnais** ⁽⁷⁾ حيث أوضح لاحقاً أنه وجان كايرول **Jean Cayrol** ، مؤلف نص الفيلم الوثائقي ، أراداً تحذير الرأي العام حول ما كان يحدث في الجزائر: كنت أرغب في فيلم لا يقول للناس ، "لا تنسوا" ، ولكن "ابحثوا لماذا حدث هذا؟"، لا تنتظروا أن يحدث هذا لكم لتهتموا بشأنه. لقد تحدثت كثيراً عن جرس الإنذار".

هذا، وتواجه الأفلام الخيالية القليلة التي تم تصويرها خلال الحرب نفسها - والتي تستدعي جوانب معينة من الصراع- الصعوبات ذاتها، إذ لم يتم عرض فيلم كلود أوتان لارا **Claude Autant-Lara** لن تقتل (**Tu ne tueras point**) إلا عام 1963، حيث تعرضت بعض مشاهدته للقطع عدة مرات، وبالمثل تم عرض فيلم وداعا فيليبين (**Adieu Philippine**) لـ **Jacques Rozier** والجندي الصغير (**Le petit soldat**) لـ **Jean-Luc Godard** والذي كان مقرراً عرضه سنة 1960 ولكن لم يتم عرضه على شاشات السينما حتى عام 1963، وواجه الفيلم انتقادات لاذعة بسبب تقديم المقاتلين الفرنسيين بطريقة سلبية: فبطل الفيلم "جندي ضائع" يحارب بطالة وليس التزاماً سياسياً.

كما يمكننا أن نذكر أيضاً روبرت إنريكو **Robert Enrico** الذي صور فيلم الحياة الجميلة (**La Belle Vie**) عام 1961 ، وهي قصة مجند عاد بمرارة من خدمته في الجزائر....وعليه يمكننا القول إنه سيتعين على هؤلاء السينمائيين الانتظار حتى نهاية النزاع لمشاهدة أفلامهم على شاشات فرنسية. ⁽⁸⁾

بشكل عام ، كانت السلطات الفرنسية متيقظة بشكل خاص حالما يتم التشكيك في شرف فرنسا وجيشها ، حتى عندما لا يتعلق الأمر بالصراع في الجزائر ؛ بدليل أنه في عام 1958 فعلت السلطات كل ما في وسعها لمنع عرض فيلم (**Sentiers de la Gloire**) دروب المجد لـ ستانلي كوبريك **Stanley Kubrick** على الأراضي الفرنسية، ولم يتم السماح له بالعرض إلا سنة 1975 أشجار زيتون العدالة (**Les Oliviers de la justice**)، الذي أنتجه جيمس

بلو James Blue خريف 1961 ، هي حالة خاصة إلى حد ما: إنه مستوحى من رواية جان بيليجري Jean Pélégri التي نُشرت عام 1959 والتي حصلت على الجائزة الكبرى الكاثوليكية للأدب في العام التالي. يروي الكتاب السيرة الذاتية لشباب من الأقدام السوداء (جان) الذي عاد من فرنسا لمساعدة والده في العذاب في مزرعته بمتيجة⁽⁹⁾.

هذه فرصة للمؤلف لمناقشة عمل والتزام هؤلاء المستوطنين ، الذين بعد أن استولوا على أرض الجزائر يحلمون باتفاق متناغم بين المجتمعات، فعندما يتعلق الأمر بالاختباس السينمائي ، يتم دعم المشروع من قبل الجنرال ديغول نفسه ، الذي أعجب بالرواية ، ويؤكد André Malraux أن المركز الوطني للسينماتوغرافيا CNC سيمول الجزء الكبير من الفيلم، وحسب سياستين دينيس Sébastien Denis ، فإن عمل جيمس بلو يقترح "خطابا حكيما حول مستقبل الجزائر المستقلة والعلاقات بين العرب والأقدام السوداء".

في نهاية الفيلم تختتم الشخصية الرئيسة- التي توشك على العودة إلى فرنسا بعد جنازة والده- بالإشارة إلى الجزائر: "لقد أصبح بلدي"، ووفقاً للمنتج ، فإن هذه الرؤية الساذجة أقل ما يقال عنها إنها كذبة كان على علم بها ، لكن المخرج والروائي اعتبرا "أنها نهاية جميلة"⁽¹⁰⁾.

تبقى الحقيقة أن هذا الفيلم هو العمل الخيالي الوحيد الذي تعامل مع الحرب الجزائرية و ظهر خلالها. تم تقديمه في مهرجان كان عام 1962 وفاز بجائزة جمعية كتاب السينما والتلفزيون .

لا يزال هناك فيلم وثائقي تقريبا عن نهاية هذه الحرب (تم تصويره في الجزائر نفسها) مشبع بواقع الدراما الجزائرية . أصبح فيلم عدالة أشجار الزيتون (Les Oliviers de la justice) أجمل الشهادات على مقدرة السينما ، وتجاوز هذه الحالة لإعادة تعريف نفسها على أنها "مأساة". ومع ذلك ، فإن هذا الفيلم الذي يدعو إلى مصالحة افتراضية بين المعسكرات التي واجهت بعضها البعض ، هو حالة معزولة، ليست ممثلة للأفلام التي تم تصويرها في إطار الحرب الجزائرية⁽¹¹⁾.

3. سينما الستينيات بين الحذر والغموض:

في جميع الأحوال، كان من الضروري الانتظار حتى نهاية الحرب لرؤية بث الأفلام التي تستحضر "حرب الجزائر"، لكن معظم هذه الأعمال تتعامل مع الموضوع بتحفظ ، وفي الغالب تكون هذه الحرب على هامش السيناريوهات، كما لو أن المخرجين لم يجرؤوا بعد على جعلها قلب الحكاية.

في أفلام مثل وداعا فيليبين (Adieu Philippine) و مطاريات شربورغ (Les parapluies de Cherbourg)، و موريال (Muriel) تتأثر الشخصيات بهذا الصراع، لكنها إما على وشك المغادرة للقتال في الجزائر (كشخصية ميشيل لمبير في وداعا فيليبين، و غي في مطاريات شربورغ) ، أو يعودون وهم يشعرون بالقلق من خدمتهم في الخارج (المظلات، موريال) إذ تهتم هذه الأفلام بشكل خاص بإظهار الأضرار التي سببتها الحرب الجزائرية على المصائر الفردية: ففي (المظلات) مثلاً عودة (غي) مليئة بالمرارة، وهذه هي إحدى الرهانات على وجه التحديد، حيث يسعى الجميع إلى نسيان هذه "الحرب القذرة"، على حسب رشيد بوجدر،⁽¹²⁾ "فيلم (موريال)، لآلان ريزناي، ليس فيلمًا عن الجزائر، بل هو فيلم يدور حول الجزائر كفكرة محرجة يتوق الجميع لنسيانها".

4. استفاقة السينما الملتزمة لفترة السبعينيات:

في السبعينيات من القرن الماضي تعيّرّت السينما الفرنسية إلى حد ما، وبدا أنها مستعدة لتقبل التاريخ المعاصر، وقد مثل هذا النهج الجديد فيلمان وثائقيان هما: فيلم الحزن والشفقة (Le Chagrin et la Pitié) للمخرج مارسيل أوفولز Marcel Ophüls عام 1971 وفيلم: فرنسي إذا كنت تعرف) André Harris et Alain de Français si vous saviez) من تأليف Sedouy الذي ظهر في العام التالي، وخلال هذه الفترة أيضا صدرت مجموعة من الأفلام التي تشير بطريقة فيها كثير من المباشرة والالتزام إلى الحرب الدائرة في الجزائر، من بينها فيلم (عشرون سنة في الأوراس) (Avoir 20 ans dans les Aurès) لرينيه فوتير، وفيلم المسألة (La Question) لوران هينيمان Laurent Heynemann.

فالفيلمان الأولان يضعان المتلقي في قلب المعارك، وينسجان سيناريوهات متشابهة إلى حد ما: مجندون معادون للحرب، يتم أخذهم بيد ضباط مفعمين بالحيوية والكاريزما؛ ثم ينتهي المطاف بهم إلى التشابك، وآخرون على العكس من ذلك متمرّدون ينتهي بهم الأمر إلى الهروب.

وهانيمان (صاحب الفيلم الثاني) مخرج سينمائي و تلفزيوني عمل مساعدا سابقا لبرتران ترافينييه Bertrand Tavernier وهو متخصص في الأفلام السياسية، صدر له فيلم المسألة في عام 1976، وهو عبارة عن اقتباس من

كتاب "المسألة" لهنري علاق **Henri Alleg**، ومع أن الفيلم لا يعرض على الشاشة جميع ممارسات التعذيب الرهيبة التي مارسها المظليون ضد علاق، وعلى سجناء الثورة وعلى بعض المثقفين المؤيدين لها، إلا أنه صدر مع حظر على من هم أقل من 18 سنة.⁽¹³⁾

وأما رينيه فوتييه فهو ناشط سياسي ومؤلف أفلام وثائقية معادية للاستعمار، أخرج فيلم عشرون سنة في الأوراس من خلال شهادات 600 شاب من منطقة بروتاني (**bretagne**) شاركوا في حرب الجزائر، وعلى الرغم من معتقداتهم العسكرية المعادية إلا أنهم أُجبروا على الاغتصاب والقتل، وقد واجه الفيلم عاصفة طويلة من التنديد من قبل اليمين المتطرف، ولكنه في الأخير استطاع أن يفتك جائزة في مهرجان كان.⁽¹⁴⁾

وهذا الفيلم (عشرون سنة في الأوراس) نوع من السينما المقاومة، يقول المخرج رونييه فوتييه " إنه اعتمد على عديد من شهادات المجندين. (ويمكن تأكيد كل مشهد من الفيلم على الأقل من قبل خمسة شهود ، وفقاً لفوتييه!)، وأما السيناريو فهو مستوحى -إلى حد كبير- من قصة عاشها بالفعل الرقيب المظلي نويل فافرليير **Noël Favrelière**، الذي هرب عام 1956.

هذا وقد عُدَّ الفيلم في عهده واحداً من أوائل الأفلام التي أثارت الصراع الجزائري الفرنسي (حرب التحرير) بطريقة مباشرة.

وعليه يمكننا القول إن عرض هذه الأفلام المختلفة - في ذلك الزمن- كان أمراً صعباً بسبب اصطدامها بمجموعات الضغط المعتادة (اتحاد المحاربين في الجزائر ، والمجموعات اليمينية المتطرفة ، وحتى عدم رغبة الحكومات في ذلك الوقت).⁽¹⁵⁾

5. السينما الجزائرية وحرب التحرير الوطنية:

السينما هي فنّ الذكريات بامتياز، فهي لا تطلعننا كثيراً على الموضوع المدروس، بل على الخطاب الذي ينسجه مؤلفوها حول هذا الموضوع، فهي بالتالي مصدر هام من مصادر التأريخ والذاكرة.

وتتوافق سينما الحرب الجزائرية وذكرياتها (الثورة التحريرية الكبرى) مع الالتزام بالحرب الاستعمارية وعنفها، كما تشهد المزيد من الأعمال المعاصرة على إدراك مدى التعقيد الذي تسمح به المسافة المتنامية للأحداث، لذا سعت هذه السينما إلى ترسيخ وتوضيح فكرة الانتقال من إحياء الذكرى إلى تأريخ الصراع.

في الجزائر المستقلة لا يُعدُّ موضوع الحرب من الطابوهات ، بل إنه يشكل موضوعاً إلزامياً للسينما الجزائرية الشابة، وقد "كشف مارسيل واندرو Marcel Wander⁽¹⁶⁾ أنه من بين واحد وعشرين فيلماً روائياً تم تصويره بين عامي 1965 و 1974 أربعة عشر فيلماً عالج الكفاح"، أشهرها فيلم معركة الجزائر (La Bataille d'Alger)، الذي صورته جيل بونتيكورفو Gilles Pontecorvo سنة 1965 ، والذي حاول تعقب - بدقة كبيرة- أحداث معركة الجزائر، حيث وصف اقتحام القسبة من طرف المظليين بقيادة الجنرال ماسي Massu عام 1957 ، كما ندد بطرق التعذيب الوحشية التي مورست على الشعب الجزائري من طرف الجيش الفرنسي، وعلى الرغم من النجاح الباهر الذي حققه الفيلم، إلا أنه لم يعرض في فرنسا إلا سنة 1981 ثم 2004.

وإذا كان المخرج إيطالياً ، فإن إنتاجه ومعظم الممثلين جزائريون وإن كانوا غير محترفين، و تم التصوير في أماكن الحدث (القسبة)، وقد ساعده بشكل خاص المناضل سعدي ياسف ، أحد الأعضاء المباشرين الذين خططوا لمعركة الجزائر، والذي يلعب دوره الخاص على الشاشة، كما أنه أيضاً أحد منتجي الفيلم. (17)

و يعد فيلم معركة الجزائر فعالاً للغاية، و ذا مصداقية، بدليل أنه استخدم بوصفه وثيقة عمل من قبل بعض الجهات الغربية للاستفادة منه في الحرب على الإرهاب، فمثلاً استخدمه الأمريكيون في أمريكا اللاتينية والعراق مؤخراً، بالإضافة إلى ذلك ، خلق المخرج الإيطالي شخصية ضابط هو العقيد ماثيو (وهو نوع من التهجين بين ماسي وبيجار Bigeard)، الذي استخدم التعذيب كأسلوب فعال ضد واضعي القنابل.

في وقت لاحق ، أنتجت السينما الجزائرية أعمالاً قوية حول هذا الموضوع، مثل فيلم ربح الأوراس (Le Vent des Aurès) لمحمد لخضر حمينة، الذي يصوّر عائلة دمرتها الحرب، وقد نال الفيلم جائزة أول عمل إبداعي في مهرجان كان عام 1967.

والفيلم استحضار ناجح للتضامن بين الفلاحين الفقراء وجيش التحرير الوطني ، وأيضاً الفصل بين عالم حضري يمتاز بالفرديانية ، وعالم ريفي متماسك متأزر.

يعود حامينا مرة أخرى ليخرج فيلم وقائع سنين الجمر (**Chronique des années de braise**)، الحائز على جائزة السعفة الذهبية **Palme d'Or** في كان سنة 1975⁽¹⁸⁾، و تبدأ قصة هذا الفيلم في عام 1939 وتنتهي في الفاتح نوفمبر 1954 ، ومن خلال المعالم التاريخية يظهر أن الفاتح نوفمبر 1954 (تاريخ اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية) ليس من قبيل الصدفة في التاريخ ولكنه تتويج لعملية طويلة من المعاناة، ومن المعارك السياسية والعسكرية التي عاشها الشعب الجزائري ضد أمر واقع هو الاستعمار الفرنسي، الذي بدأ بالنزول في سيدي فرج في 14 جويلية من عام 1830.

هذا وقد طور بعض صانعي الأفلام الجزائريون رؤاهم السينمائية فأصبحت أكثر أصالة، مثل فيلم: جنون سنوات التويست (**Les folles années du twist**) لمحمود الزموري، وفيلم: التضحيات (**Les sacrifiés**)، الذي أنتج في عام 1982 من قبل مخرج سينمائي جزائري بفرنسا، وهو عمل يصوّر الصراعات الداخلية في المجتمع الجزائري في حي نانثير الفقير، بين أعضاء جبهة التحرير الوطني ومؤيدي الحركة الوطنية الجزائرية **MNA** (لمصالي الحاج).

6. الشهود والفرصة التاريخية:

شهدت السينما الوثائقية المهمة بالحرب في الجزائر تطورا ملحوظا من حيث التنوع، حيث اتبعت الأفلام الأولى مثل أفلام **Yves Courrière** أو **Peter Batty** بنية كلاسيكية، ولكن كان لكل منها اهتمام معين. لقد أثارت صحفية **RTL** بوضوح الصراعات داخل جبهة التحرير الوطني بين الإدارة والاتجاه الذي نشطه عبان رمضان ، وهي حلقة لم تكن معروفة لدى عامة الناس، حيث يحتوي الفيلم الذي أخرجه المخرج الإنجليزي، والذي عرّض الصراع على أنه حرب بين دولتين -على كثير من المقابلات مع المسؤولين في ذلك الوقت ، ويستخدم بشكل مكثف المقننات الوثائقية للتلفزيون البريطاني والأمريكي.

في وقت لاحق ، وكما تقول أنيت وييفوركا **Annette Wieviorka** ⁽¹⁹⁾ في موضوع آخر، جاء "زمن الشاهد": حيث تمت صناعة عديد من الأفلام من شهادات الممثلين أنفسهم: شهادة برتران تافرنير **Bertrand Tavernier** في (حرب بلا اسم) (**La guerre sans nom**) ، والمؤلف من لقاءات عديدة مع مجندين من منطقة غرونوبل، كما يستند فيلم السنوات الجزائرية (**Les années algériennes**) لبرنارد فافر **Bernard Favre** (بالتعاون مع

بنيامين ستورا) على مقابلات مع رجال في الشارع، حيث يصير الفيلم الوثائقي على عرض جانب من الحرب الأهلية داخل المجتمعات (فرنسيو الجزائر وفرنسيون من باريس من جهة، وجبهة التحرير الوطني وغيرها من الحركات الوطنية من جهة أخرى).

كما تبنى باتريك روتمان (Patrick Rotman) المقاربة نفسها في فيلمه "العدو الحميم" (L'ennemi intime)، والذي يثير بشكل رئيس مشكلة التعذيب كما فهمها المجنونون أنفسهم أخيراً.

ويروي هذا الفيلم قصة ضابط ضالع في الحرب في وحدة من وحدات القتال، يتخلى عن مبادئه الإنسانية، ويصبح جلاداً... هذه القصة مستوحاة من شهادات حقيقية، مع استعارة واضحة وبشكل كبير لرموز أفلام الحرب الأمريكية، حيث يصور معاناة المقاتلين والمدنيين وعنف الصراع والتعذيب.

أنتج بنجامين ستورا Benjamin Stora وغابرييل لو بومان Gabriel Le Bomin عام 2012 الفيلم الوثائقي "الحرب الجزائرية، التمزق" (La Guerre d'Algérie, la déchirure) حيث عادا إلى مسألة حساسة للغاية تتلخص حول سلوك الجيش الفرنسي خلال الصراع، وفقاً لجريدة ليبراسيون فإن الفيلم الوثائقي (9 مارس 2012) يعرض صوراً غير مرئية من أرشيف الجيش الفرنسي، ولكن أيضاً من مصادر غير متوقعة، مثل المشاهد التي التقطها التلفزيون الألماني الشرقي، و لم يتردد المؤلفون في دمج الصور القاسية جداً للجنود الفرنسيين والمشتبه فيهم الذين أعدمتهم جبهة التحرير الوطني، "للتأكيد على دينامية هذا النزاع، وبعده المأساوي" (التحرير).

7. بعض الرؤى لتضميد الذكرة المصابة:

من المؤكد أنه لم يتم استكشاف جميع المناطق المعتمدة في هذا الموضوع، ولكن الطريق مفتوح أمام جميع المهتمين والباحثين للتعلم أكثر في قضية حضور حرب التحرير الجزائرية في السينما الفرنسية، ولا بأس في هذا الإطار بالاستعانة بشهادة بعض الفاعلين في هذه الحرب (مثل الجنرال أوساريس Aussaresses)، الذي قدم اعترافات صادمة حول التعذيب، كما يمكن أيضاً ملاحظة بروز الأعمال المرجعية حول هذا الموضوع منذ سنوات، لا سيما تلك التي أثارها بالسيدة برانش Mme Branche حول التعذيب الذي مارسه

الجيش الفرنسي، أو تاريخ السيدة ثينو **Mme Thénau** حول العدالة خلال حرب التحرير الجزائرية.

إن فتح بعض الأرشفة، واهتمام الأجيال الجديدة من المؤرخين الفرنسيين بالحقيقة سيمنح الموضوع نظرة أكثر هدوءًا وإنصافًا في هذه الفترة الصعبة. بالإضافة إلى ذلك هناك باحثون مهتمون حقًا بصورة الحرب الجزائرية من خلال الشاشة، مثل سيباستيان دينيس **Sébastien Denis** (20) الذي درس الأفلام القصيرة الدعائية التي أنتجتها السلطات الفرنسية، وكذا كارولين إيدس **Caroline Eades** التي اهتمت بالسينما الفرنسية ما بعد الاستعمار، كما كرّس حميد بن مسعود (21) أطروحته للحرب الجزائرية في السينما الفرنسية (**La guerre d'Algérie dans le cinéma français**). وأما رشيد بوشارب (وهو مخرج سينمائي من أصل جزائري)، فقد أخرج فيلم الأهالي **Indigènes**، الذي ظهر عام 2006، وكان له رد قوي للغاية، حتى على المستوى السياسي: ثلاثة ملايين مشاهد (أكثر بكثير من متوسط الأفلام عن الحرب الجزائرية)، وقد تمت مكافأة الممثلين الرئيسيين في مهرجان كان، وأعلنت حكومة دو فيلبان أن المعاشات التقاعدية المخصصة للأعضاء السابقين في هذا الجيش من شمال إفريقيا ستكون متوافقة مع رفاقهم الفرنسيين.

في هذا الفيلم يتم تسليط الضوء على الإهانة التي يشعر بها جنود شمال إفريقيا الذين تم دمجهم في هذا الجيش من الفرنسيين الأحرار، استياء سيكون له دور في تحفيز عديد من قادة الجبهة الوطنية للتحرير **FNL**، وقد جاءت شخصية العريف عبد القادر التي قام بدورها الممثل سامي بوعجيلة، لتجسد معاناة هؤلاء الجنود المغاربة أو ضباط الصف الشجعان، الذين يشعرون أنهم لم ينالوا الاعتراف الرسمي الذي كانوا يستحقونه، حيث يشعرون بمرارة عميقة، وسيشارك بعضهم في حرب تحرير الجزائر في الخمسينيات.

وأما في فيلمه الآخر (الخارجون عن القانون) الذي ظهر سنة 2012، فقد اهتم بوشارب بالفترة الواقعة بين 1945-1954 في الجزائر، حيث يبدأ الفيلم مع أحداث سطيف و قالمة وخراطة في مايو 1945، والتي خلفت الآلاف من الضحايا من الجزائريين، وقد أثار الفيلم جدلاً كبيراً عند ظهوره، إذ إن بعض الشخصيات اليمينية واليمينية المتطرفة مثل نائب **UMP** ليونيل لوكا **Lionnel Luca** عارضت بشدة الرؤية المقترحة في فيلم بوشارب، مما يؤكد أن نيران ذاكرة جزء كبير من الرأي العام الفرنسي لم تخبأ بعد.

وفي موضع آخر كتبت كارولين إيدس⁽²²⁾ قائلة: قد لعبت السينما الفرنسية دورها في بناء أساطيرنا المشتركة: "الخيال الذي يركز على إرث تاريخي يعرضه في مجال عامة الناس ويشارك في بناء ذاكرتنا الجماعية، وديكورات الحكاية الخيالية أصبحت نصبا تذكارية، الشخصيات هم رجال ونساء حقيقيون، وسمحت الحكايات بسرد الأحداث التاريخية، ولم يكن للجنود الفرنسيين الحق في التحدث، ولكن حينما أصبحوا شخصيات سينمائية، عادوا إلى الحياة: الهزائم وترحيل الكولون والتي تم إنكارها ونسيانها، أعادت السينما إدماجها في المشهد الخيالي لتاريخ القرن العشرين".

من جانب آخر، لم تكن هذه الأعمال السينمائية مرضية لكل الجماهير الفرنسية، كما يتضح من ردود الفعل العنيفة أثناء إطلاق فيلم بوراشيب، لكن السينما الفرنسية- في رأي النقاد- لا يمكن أن تكون مسئولة عن كل شيء، ولا سيما عن "حرب الذكريات"، وكما يقول بنجامين ستورا، "لا يزال من المستحيل أن ننظر إلى هذه الحرب في وجهها مباشرة، والانتقال من التجربة الفردية والصدمة، إلى صدمة التصور الجماعي من خلال السينما، فبعد خمسين عاما لا تزال الصور على الشاشات تقشَل في جمع شتات ذكريات متشظية".

8. خاتمة:

في ختام هذا المقال يمكننا تسجيل الملاحظات الآتية:

- السينما بوجه عام وسيلة لإعادة كتابة التاريخ وفق رؤية صنّاعها، ومن ورائهم سياسة الدول وحكّامها.
- لم تلتفت السينما الفرنسية إلى الأحداث التي تجري في الجزائر إلا بعد الاستقلال بسنوات طويلة، وهذا بإيعاز من دوائر الحكم في فرنسا آنذاك.
- خضعت الأفلام السينمائية والوثائقية التي تناولت أحداث الجزائر بصورة عامة، والثورة التحريرية الكبرى بصورة خاصة إلى قيود الرقابة الصارمة، التي وصلت حدّ الاستيلاء على النسخ الأصلية (مثلما حدث مع الفيلم الوثائقي: أكتوبر في باريس، وفيلم لن تقتل).
- كان التحفظ السمة البارزة في أغلب الأعمال الفرنسية التي تناولت تاريخ فرنسا الاستعماري في الجزائر، إذ لم يجرؤ أحد على جعل الثورة الجزائرية قلب القصة في فيلمه.

- لم يَفَوْ مُخْرَجُو السينما الفرنسية على الحديث مباشرة - في أفلامهم - عن الثورة الجزائرية إلا في فترة السبعينيات من القرن الماضي، وتحديدًا مع فيلم (الحزن والشفقة) و(فرنسي إذا كنت تعرف) و(عشرون سنة في الأوراس) و(المسألة).

- يعد موضوع الثورة التحريرية بالنسبة للسينما الجزائرية منذ السنة الأولى من الاستقلال قضية إلزامية، إذ يشعر معظم المخرجين الجزائريين - حتى الذين عاشوا في فرنسا - أنهم ملزمون وطنيا وأخلاقيا بتصوير وتخليد بطولات الشعب الجزائري وإظهار فرنسا في صورتها الحقيقية .

9- التهميش:

1- Benjamin Stora, *Imaginaires de guerre. Les images dans les guerres d'Algérie et du Viêt-nam*. Paris, Éd. La Découverte, coll. Essais, 2004, rééd., P258.

2 - Caroline Eades, *Le cinéma post-colonial français*, Éditions du Cerf, 2006.

3 - سليم بنتقة : *الذاكرة والسينما*، ندوة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري (تقاطع الأدب والسينما)، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، يوم 05 نوفمبر 2018.

4 - المرجع نفسه.

5 - [PASCAL.BAUCHARD](#), La mémoire de la guerre d'Algérie dans le cinéma français, revue Rhénanes, revue des professeurs d'histoire-géographie d'alsace, 2014.

6 - in *La Guerre d'Algérie et les Français*, sous la direction de Jean-Pierre Rioux, Fayard.

7 - entretien avec Alain Resnais, revue 24 images, no :150, décembre 2010, janvier 2011 , p5.

8 - [PASCAL.BAUCHARD](#), La mémoire de la guerre d'Algérie dans le cinéma français, op-cit.

9 - Jean-Baptiste Separi-Prevost, La mémoire de la guerre d'Algérie dans les films français depuis 2000, Sous la direction de M. Gilles Richard Séminaire d'Histoire de la France au 20^{ième} siècle : forces politiques, société et cultures, place dans le monde.

10 - [PASCAL.BAUCHARD](#), La mémoire de la guerre d'Algérie dans le cinéma français, op-cit.

11 - Ibid.

12 - Rachid Boudjedra ,Naissance du cinéma algérien, 1971, chez F. Maspero, Paris.

13 - [PASCAL.BAUCHARD](#), La mémoire de la guerre d'Algérie dans le cinéma français, op-cit.

14 - سليم بنتقة : *الذاكرة والسينما*، المرجع السابق.

- 15 - المرجع نفسه.
16 - [PASCAL.BAUCHARD](#), La mémoire de la guerre d'Algérie dans le cinéma français, op - cit.
17 - سليم بتقة : الذاكرة والسينما، المرجع السابق.
18 - المرجع نفسه.
19 - WIEVIORKA (Annette), *L'Ère du témoin*, Paris, Plon, 1998.
20 - Sébastien Denis, *Le cinéma et la guerre d'Algérie, la propagande à l'écran (1954-1962)*, éditions Nouveau Monde, 2009.
21 - Hamid Benmessaoud, *La guerre d'Algérie dans le cinéma français*, 1996 , thèse de doctorat, Toulouse-2.
22 - Caroline Eades, *Le cinéma post-colonial français*, Éditions du Cerf, 2006, op-cit.

10- قائمة المصادر والمراجع

1. سليم بتقة : الذاكرة والسينما، ندوة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري (تقاطع الأدب والسينما)، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، يوم 05 نوفمبر 2018.
2. Benjamin Stora, *Imaginaires de guerre. Les images dans les guerres d'Algérie et du Viêt-nam*. Paris, Éd. La Découverte, coll. Essais, 2004, rééd.
3. Caroline Eades, *Le cinéma post-colonial français*, Éditions du Cerf, 2006.
4. entretien avec Alain Resnais, revue 24 images, no :150, décembre 2010, janvier 2011.
5. Hamid Benmessaoud, *La guerre d'Algérie dans le cinéma français*, 1996 , thèse de doctorat, Toulouse-2.
6. in *La Guerre d'Algérie et les Français*, sous la direction de Jean-Pierre Rioux, Fayard.
7. Jean-Baptiste Separi-Prevost, La mémoire de la guerre d'Algérie dans les films français depuis 2000, Sous la direction de M. Gilles Richard Séminaire d'Histoire de la France au 20ième siècle : forces politiques, société et cultures, place dans le monde.

8. [PASCAL.BAUCHARD](#), La mémoire de la guerre d'Algérie dans le cinéma français, revue Rhénanes, revue des professeurs d'histoire-géographie d'Alsace, 2014.
9. Rachid Boudjedra ,Naissance du cinéma algérien, 1971, chez F. Maspero, Paris.
10. Sébastien Denis, *Le cinéma et la guerre d'Algérie, la propagande à l'écran (1954-1962)*, éditions Nouveau Monde, 2009.
11. WIEVIORKA (Annette), *L'Ère du témoin*, Paris, Plon, 1998.